

الإمام عليّ (ع) .. جامع للإخلاق النبيلة



علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الهاشمي القرشي، كان والده أبو طالب من أبرز الشخصيات القرشية والمعروف بسخائه وعدله ومنزلته السامية عند القبائل العربية. وهو عمّ النبي (ص) وألطف أعمامه به، ولما أظهرت قريش عداوته حذب عليه ونصره ومنعه. أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. أخوته: من الذكور طالب، عقيل، جعفر، ومن الإناث هند المعروفة بأم هاني، جمانة، ريطة المكنات بأم طالب وأسماء. كنيته (ع): أبو الحسن، أبو الحسين، أبو السبطين، أبو الريحانتين، أبو تراب، وأبو الأئمة. إضافة إلى شرف مصاهرة النبي الأكرم (ص) على ابنته فاطمة (س) وأنه والد الحسين (ع) سبطي رسول الله والفادي له عندما تآمرت عليه قريش ليلة الهجرة حين مبيته في فراشه للتمويه عليهم وإفشال خطّتهم، الأمر الذي وفّر للنبي الأكرم (ص) هجرة ميسرة ميمونة بعيداً عن أعين الأعداء. وحينما آخى (ص) بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين علي (ع) فروي عن النبي الأكرم (ص) أنه قال: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي». حيث كانت وفاته (ع) ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة بعد أن ضربه ابن ملجم المرادي في مسجد الكوفة ليلة تسع عشرة من نفس الشهر ودفن في الغريّ من نجف الكوفة. ومما يشهد له التأريخ أيضاً أنه مع قوّة الجسدية الخارقة وشجاعته التي لا نظير لها تراه يتصف بأرفع درجات التواضع والعفو والصبر والحلم، ومع

انفتاحه على الناس ومخالطته لهم يتسم بالهيبة والوقار الشديدين. وأولى أمير المؤمنين (ع) لحقّ الراعي والرعية أهمية كبرى على المستويين النظري والعملي وهذا ما تجده جلياً في كلماته، كما في قوله: «لا يجري (الحقّ) إلّا جرى عليه ولا يجري عليه إلّا جرى له ولو كان لأحدٍ أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سُبْحَانَهُ دُونَ خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كلّ ما جرت عليه صُروفُ قضاياه ولكنّهُ سُبْحَانَهُ جعل حقّهُ على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهُم عليه مضاعفة الثواب تفضُّلاً منه وتوسُّعاً بما هو من المزيد أهله». ومن وصاياه لعماله على الزكاة: «ولا تُروّعنّ مسلماً ولا تتجاذن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حقّها في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تُخالط أبايهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تُخدّجهم بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم وليّ خليفته؛ لأخذ منكم حقّها في أموالكم فهل في أموالكم من حقّ فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل: لا. فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه». ومن وصاياه التي أوصى به أبناءه وصيته أنه قال للحسن (ع) والحسين (ع) حين ضربه ابن ملجم: «أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً. أوصيكما، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنني سمعت جدّكما (ص) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام. الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم. الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم، حتى ظننا أنه سيورثهم. الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم. الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم. الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا. الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله، وعليكم بالتواصل والتبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم. ثم قال: يا بني عبد المطلب! لا ألفيتكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً، تقولون: (قتل أمير المؤمنين)، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي. انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل، فإنني سمعت رسول الله (ص) يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور». فأما السخاء والجود فحاله فيه طاهرة، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وروي أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فأُنزل فيه: (الَّذِينَ يَذْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَناً ذِيَّةً) (البقرة/274). كما كان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء. وأما سجاجة الأخلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيا، والتبسم: فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه. من حيث شجاعته فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا إرتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث

«كانت ضرباته وتراً». كان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملزمة الأوراد وقيام النافلة، وما طنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفيين ليلة الهرير، فيصل على ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما طنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده. وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته والاستخاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت!. وأما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تنفص الأحلاس، ما شيع من طعام قط.